



خطبة صلاة الجمعة 27/12/2013 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(إذا أراد الله بعبد خيراً)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيّه وخليفه، خير نبيّ اجتبا، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185].

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27)

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 27، 28].

وقال: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: 11].

عنوان خطبة اليوم:

(إذا أراد الله بعبد خيراً)

"الجامع الصغير من حديث البشير النذير" كتاب حديث هو من أجمع ما صنف في معاجم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، مؤلفه الإمام "جلال الدين السيوطي"، لقبه العلماء بخزانة العلم، لاطلاعه الواسع وجمعه الغزير، رتب الإمام السيوطي الجامع الصغير على حروف الهجاء، وجمع فيه الأحاديث من ثلاثين كتاباً حتى بلغ عدد ما فيه عشرة آلاف حديث، وأشار

إلى درجة كل حديث ورمز إلى المخرجين، وقد طبع الكتاب في مجلدتين، قال عنه المحققون: لا يستغني عنه عالم أو طالب علم.

وما أجمل المؤمن يقرأ حديث نبيه صلى الله عليه وسلم فيزداد فهماً عليه، وحباً له صلى الله عليه وسلم.

اخترت لكم في خطبة اليوم عشرة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوردها السيوطي في الجامع الصغير، مطلعها إذا أراد الله بعبده خيراً.

لأن العباد عامة مهتمون بما يريد بهم سيدهم جل جلاله، ولأن كثيراً من أهل الشام في هذه الأزمة التي نمر بها -ونسأل الله تعالى أن يعجل كشفها بلطفه- يقولون جهراً أو سراً: أشر أريد بمن في الشام أم أراد بهم ربهم رشداً؟

ولأنني أعلم من هذا الدين - كما تعلمون - أن المرء مجزي بعمله، وأن وازرة لا تزر وزر أخرى، ذهبت أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامات العبد الذي يريد الله به الخير وأفعاله، فكانت هذه الجملة من الأحاديث:

1- عن أنس رضي الله عنه يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله برجل من أمتي خيراً ألقى حب أصحابي في قلبه))، [أخرجه الديلمي].

رغب الأب الجليل ذو السبعين عاماً بزيارة بيت الله الحرام، فطلب إلى أولاده مرافقته، لكن عمل الأولاد حال دون ذلك، فعهدوا بمهمتهم لأمين فوج يثقون به كان يخدم أفواج الحجاج والعمار، وأوصوا الشيخ بوالدهم خيراً.

غادر الوالد دياره قاصداً بيت الله الحرام، متشوقاً لمكة وأنوارها، لكنه وبعد وصوله مكة بدأ وضعه الصحي يتدهور.

لم يأل مرافق والدهم جهداً في العناية بالأمانة الملقاة على عاتقه، لكن قدر الله كان أسرع وأمضى... لقد مات ذلك الرجل الفاضل بعيداً عن دياره وأهله وولده.

أعلم أمير الفوج الأولاد، فأخبروه أن والدهم كان يطلب منذ زمن أن يلقي ربه في مكة المكرمة، وقد حقق الله له ما رجا..

لكنهم سألوا أمين الفوج أن يسعى جهده ليواري والدهم في مقبرة الحجون، حيث مثوى السيدة خديجة الكبرى، زوج رسول الله ﷺ، أم المؤمنين، فلقد كان أبوهم شديد المحبة لأم المؤمنين السيدة خديجة، ولطالما قرأ القرآن وأهدى ثوابه إلى روحها، لطالما أطعم الناس راجياً أن يكون ذلك في صحائف أعمالها، نعم، لقد تعلق بأمه زوج رسول الله ﷺ لما كان لها من فضل وسبق وعظيم منزلة. لكن الرد كان خلاف ما يرجون، فأمرُ الدفن كان خارج اليد، فهناك إجراءات إدارية تسري على من مات في مكة، وليس الأمر بالبساطة المظنونة.

قدّر الأولاد ذلك، لكنهم لم يفقدوا أملاً بتمام الفضل على والدهم كما ابتدأ، فقالوا للشيخ: دع الأمر في بالك، واسع ما استطعت إليه، ثم لا حرج بعد ذا إن لم يتم.

بعد أن صلى الناس على الموتى في الحرم المكي، وكان ذاك الوالد سابعهم، حملهم الناس ومضوا إلى باب الحرم، لتحملهم المركبات إلى مقابرهم، وإذا برجل يقترب من أمين الفوج ويهمس في أذنه: أتحبون أن يدفن فقيدكم في مقبرة الحجون حيث ترقد السيدة الكبرى أم المؤمنين؟!!

التفت أمين الفوج والدمعة تفرق في عينيه قائلاً: نعم، نحب ذلك ونودّه ونكبره، دلي السبيل إليه...

فقال له الرجل: إذا خرج الناس من ذلك الباب فأخرجوا ميتكم من هذا الباب وستجدوني عنده..

مضى أمين الفوج حيث قال الرجل، وبلغ ذاك الجليل ما رام، لقد شرفه الله وأرقده حيث أمه، مقلة عينه مهجة قلبه.

هذا رجل أراد الله به خيراً فأسكن قلبه محبة أصحاب رسوله ﷺ.

2- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل

غناه في نفسه وتقاه في قلبه، وإذا أراد الله بعبدٍ شراً جعل فقره بين عينيه))، [أخرجه ابن حبان، والديلمي].

[أي جعله قانعاً بالكفاف تقياً].

3- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله بعبدٍ

خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه))، [أخرجه الديلمي].

وفي معناه جاء الأثر: (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عاتبه في منامه).

كان يعمل في إحدى الجمعيات الخيرية، جاءه رجل يرغب بتوكيله في ذبح خروفين لنذرٍ لزمه، سلمه ثمنهما ومضى.

انشغل الوكيل ببعض مهامه، فنسي أمر النذر، وإذ به بعد يومين يرى فيما يرى النائم كبشين كبيرين أقرنين ينطحانه حتى أصبح، فاستيقظ فزعاً، وهرع إلى هاتفه وطلب إلى القصاب (اللحام) أن يذبح كبشين ويأتي بلحمهما إلى الجمعية، واستغفر الله عما كان من سهوه. هذا رجل أراد الله به خيراً فجعل له واعظاً من قلبه.

4- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وأهمه رشده))، [أخرجه الترمذي، والبزار، والطبراني في الكبير].

5- وعن سعد بن سنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط))، [أخرجه الترمذي].

6- وعن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله بعبد خيراً رزقهم الرفق في معاشهم، وإذا أراد بهم شراً رزقهم الخرق في معاشهم))، [أخرجه البيهقي في شعب الإيمان].

والرفق في المعاش هو: حسن الكسب وحسن الإنفاق، والخرق: السرف والتبذير.

7- وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أراد الله بقوم خيراً أكثر فقهاءهم وأقل جهالهم، فإذا تكلم الفقيه وجد أعواناً، وإذا تكلم الجاهل قُهر، وإذا أراد بقوم شراً أكثر جهالهم وأقل فقهاءهم، فإذا تكلم الجاهل وجد أعواناً وإذا تكلم الفقيه قُهر))، [أخرجه الديلمي].

8- وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله بقوم خيراً ولى عليهم حلماءهم وقضى بينهم علماءهم وجعل المال في سمحاتهم وإذا أراد بقوم شراً ولى عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهالهم وجعل المال في بخلائهم))، [أخرجه الديلمي].

9- وعن أبي قَرْصَافَةَ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ خَيْرًا أَهْدَى إِلَيْهِمْ هَدِيَّةً: الضيف ينزل برزقه ويرتحل وقد غفر الله لأهل المنزل)), [أخرجه الضياء في المختارة, وأبو نعيم في الحلية].

10- وعن أبي عَنبَةَ الْخَوْلَانِي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ)), أي طَيَّبَ ثَناءه بين الناس, ((قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَمَلًا صَاحِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ, ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ)), [أخرجه الإمام أحمد].

أيها الإخوة:

هذه علامات عشر فيمن يريد الله بهم الخير:

أولها: حب الصحابة.

ثانيها: القناعة.

ثالثها: الواعظ من نفسه.

رابعها: الفقه في الدين.

خامسها: تعجيل العقوبة في الدنيا (الابتلاء).

سادسها: حسن التدبير.

سابعها: كثرة العلماء.

ثامنها: ولاية الفضلاء.

تاسعها: كثرة الضيفان (معونة الخلق).

عاشرها: حسن الخاتمة.

فمن وجد منا في نفسه واحدة منها -أو أكثر- فليجتهد أن يجمع الباقيات, ومن لم يجد منها شيئاً فليبادر الآن، فإن الزمان يتقارب.

والحمد لله رب العالمين